

الاكتفاء الذاتي والبساطة في العيش



مؤلف: آية الله العظمى
العلامة المجلسي
مترجم: محمد باقر
مركز البحوث والدراسات
الاسلامية
1385 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاكتفاء الذاتى والبساطة فى العيش

كاتب:

محمد حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

Ansariyan

الفهرس

٥	الفهرس
٧	الاكتفاء الذاتى والبساطة فى العيش
٧	اشارة
٧	كلمة الناشر
٨	قانون الاكتفاء والبساطة
٩	العمل طريق الاكتفاء
٩	البساطة فى العيش
٩	من سمات النجاح
١٠	مقومات الاكتفاء
١٠	خير أسوة
١١	سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام
١٢	العمل الدعوب
١٢	العمل فى فترة الاستجمام
١٣	المسلمون بين الأمس واليوم
١٥	ابن سينا
١٦	طعم الحياة
١٨	الفرق بين الشخصيتين
١٨	الحسينية العامرة
١٩	الشكوى دائماً
١٩	استثمار الوقت
١٩	من هدى القرآن الحكيم
٢٠	من هدى السنة المطهرة
٢١	بى نوبتها

إشارة

اسم الكتاب: الاكتفاء الذاتي والبساطة في العيش

المؤلف: حسيني شيرازي، محمد

تاريخ وفاة المؤلف: ١٣٨٠ ش

اللغة: عربي

عدد المجلدات: ١

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمتاز الأمة الإسلامية بمقومات فريدة تنحصر بها، فلا توجد في غيرها من الأمم الأخرى، مثل الفكر والعقيدة والتاريخ والأرض والماء والموارد والخيرات وغير ذلك، فهي متقومة بنفسها ومكتفية بما منحها الله عزوجل من ثروات، وليست بحاجة إلى ما عند الأمم الأخرى بقدر ما تحتاج الأمم الأخرى إلى ما عند الأمة الإسلامية.

وإن من أهم عوامل نجاح الأمم وتقدمها: هي مسألة الاكتفاء الذاتي، أي أن تكون الأمة معتمدة على نفسها في بناء نفسها، فلا تنظر إلى ما عند الآخرين وتهمل ما عندها. وهذا الأمر ينطبق تماماً على الأفراد أيضاً، فالفرد الناجح هو الذي يطبق قانون الاكتفاء الذاتي على نفسه.

ومن أبرز مظاهر الاكتفاء الذاتي ما يتجلى في مسألة الفكر. فالفكر الإسلامي فكر غني ومتنوع وشامل ويرسم نظرة عامة عن الكون والحياة وما بعد الموت. ولقد ظل الغرب قروناً عديدة يقتات على الفكر الإسلامي وعلى كتب المفكرين الإسلاميين، وأقاموا بذلك صرح مجدهم. فقد شهد العديد من الغربيين بهذه المسألة:

يقول الكونت دوري وكان وزير المعارف في فرنسا: (بينما أهل أوروبا تائهون في ببداء الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط، إذ سطع نور قوى من جانب الأمة الإسلامية من علوم وأدب وفلسفة وصناعات وعمل يد. وكانت مدينة بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشر في الأمم، اغتنم منها أهل أوروبا في القرون الوسطى مكتشفات وصناعات وفنوناً وأقاموا أساس ممالكهم على شرائع الإسلام).()

ويقول آرثور ليونرد: (لولا مدتيّة الإسلام وعلومه وطرق تعاليمه المقدسة لما كنا نحن الغربيين بهذه الحالة الراقية، بل كنا لانزال في دور التوحش والهمجية)().، إلى غير ذلك مما شهد به علماءهم ومفكرهم على طول التاريخ.

وقوة الفكر الإسلامي هذه وتنوعه وشموله بالإضافة إلى تعاليم الإسلام الحقّة الفطرية والمفاهيم القرآنية النبيلة هي التي دفعت بالكثير من الغربيين إلى اعتناق الإسلام عن إيمان وعقيدة بأحقية هذا الدين، وأعلنوا صراحة بأن المستقبل لهذا الدين، وأن الإسلام هو دين المستقبل، وأنه الدين الوحيد الذي سيكون مقبولاً في أوروبا والغرب، وأنه لا بد للغرب من اعتناق هذا الدين المجيد.

إن مسألة الاكتفاء الذاتي تنفي عن الأمم والأفراد مسألة التبعية للآخرين؛ لأنه مهما تكن قوياً و متماسكاً فإذا ما احتجت إلى الآخرين فستكون أسيرهم ولو في أبسط الأشياء، وأنتك مهما كنت مكتفياً عن الآخرين فستكون نظيرهم، وهذا ما قرره أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام بقوله: Sاحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن من شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره R().

واليوم أخطر ما تواجهه الأمة الإسلامية هم، مسألة التبعية للغرب في كل شيء، إذ أصبحت الأمة عاجزة عن مواكبة رك التحضر

ومسايرة العالم، بالرغم من كل ما تملكه من مقومات التقدم والتحضر، وذلك نتيجة الحكام العملاء الذين تسلطوا على رقاب المسلمين وأذاقوهم ألواناً من الذل والقهر والكبت والعذاب، فساموا العباد وخرّبوا البلاد من أجل نزواتهم وشهواتهم العابرة، حتى جعلوا الفرد المسلم يشعر باليأس والإحباط لما يعانيه من أزمات تحل عليه وعلى أمته تبعاً.

لقد سعى الأعداء المستعمرون إلى قتل الروح الإسلامية لدى الفرد المسلم بكل ما أوتوا من قوة، ومحاربة الدين الإسلامي والعلماء ومطاردتهم والقضاء عليهم، ومن ثم التبشير بالدين المسيحي بعدما مهدوا الطريق إليه، وفي هذا المجال يقول أحد المبشرين في آخر مؤتمر عقده البروتستانت قبل الحرب العالمية:

(وعندى أنه يجب علينا قبل أن نبني النصرانية في قلوب المسلمين أن نهدم الإسلام من نفوسهم، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوسهم أو نفوس من يتربون على أيديهم. إن عملية الهدم أسهل من عملية البناء في كل شيء إلا في موضوعنا هذا؛ لأن هدم الإسلام من نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم، وهي خطة مخالفة لما ندعو إليه لأنها خطة الإلحاد وإنكار للأديان جميعها، ولكن لا سبيل إلى تخليص المسلمين من الإسلام غير هذا السبيل، فانظروا ماذا أنتم فاعلون؟).
والاكتفاء الذاتي وتقدم الأمة، كثيراً ما ركز عليه سماحة المرجع الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي H في كتاباته ولقاءاته ومحاضراته مع مختلف الطبقات الذين كان يلتقي بهم، فكان؟ يؤكد على ضرورة النهوض بالإسلام والمسلمين من خلال التوعية الجماهيرية العامة ونشر الكتب، بالإضافة إلى تأسيس الأحزاب الحرة وبناء المؤسسات الثقافية والاجتماعية والسياسية، وكذلك العودة إلى المبادئ الإسلامية في الأخوة والأمة الواحدة وإطلاق الحريات الشاسعة التي منحها الإسلام للمسلمين واستمتاعهم بالمباحات وحيازتها مما يجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

وفي هذا الكتاب (الاكتفاء الذاتي والبساطة في العيش) يلمس القارئ كيفية توجيه سماحة المرجع H أفراد الأمة الإسلامية إلى ضرورة الأخذ بمسألة الاكتفاء الذاتي حتى يتمكنوا من النهوض بواقعهم وانتشالها من الواقع المرير لتكون في مصاف الأمم الراقية. ومؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر، يسرها أن تضع هذا الكتاب القيم بين يدي شباب الأمة ومفكرها، مساهمةً منها في الأخذ بيد الأمة لما فيه خير الإسلام والمسلمين، والعودة بها إلى سالف عزاها ومجدها.

نسأل الله تعالى أن يمن على الإمام الراحل بالمغفرة والرضوان، وأن ينفع بهذا الكتاب كما نفع بغيره من مؤلفاته، إنه سميع مجيب. والحمد لله رب العالمين.

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

قانون الاكتفاء والبساطة

من أهم أسباب التقدم في الأمم وكذلك الأفراد: الاكتفاء الذاتي والبساطة في العيش، وهذا يوجب سعادة الدارين، ولا تختص السعادة المترتبة عليه بالأمر الديني فحسب.

قال الباري تبارك وتعالى?: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا؟.

وهذه الآية المباركة تدل على أنه لا فرق في عطاء قانون الاكتفاء وقانون البساطة، بين المسلم والكافر، والمؤمن والمنافق، فمن أخذ

بهذين القانونين تقدم في الحياة، ومن تركهما تأخر.

العمل طريق الاكتفاء

إن الاكتفاء الذاتي بحاجة إلى العمل المستمر، والقضاء على البطالة، وترك الكسل والضجر واليأس.

قال الإمام الرضا عليه السلام: إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله، فسمعوه وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من سألتنا أعطينا، ومن استغنى أغناه الله. فانصرف ولم يسأله، ثم عاد إليه فسمع مثل مقالته فلم يسأله، حتى فعل ذلك ثلاثاً. فلما كان في اليوم الثالث مضى واستعار فأساً وصعد الجبل، فاحتطب وحمله إلى السوق فباعه بنصف صاع من شعير فأكله هو وعياله، ثم أدام على ذلك حتى جمع ما اشترى به فأساً، ثم اشترى بكرين وغلاماً وأيسر. فصار إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أليس قد قلنا: من سأل أعطينا ومن استغنى أغناه الله؟

وجاء في فقه الرضا عليه السلام: وأروى عن العالم () عليه السلام أنه قال: وقوا دينكم بالاستغناء بالله عن طلب الحوائج، واعلموا أنه من خضع لصاحب سلطان جائر أو لمخالف، طلباً لما في يديه من دنياه، أهمله الله ومقت عليه ووكله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه نزع الله منه البركة، ولم ينفعه بشيء في حاجته، ولغيره من أفعال البر().؟

البساطة في العيش

البساطة في العيش توجب أن يركز الإنسان في حياته على الضروريات بعيداً عن الكماليات، وهي من أهم أسباب التقدم. أما إذا اشتغل الإنسان بالكماليات والمسائل الرفاهية وما أشبه، فإنه سيبتعد شيئاً فشيئاً عن الضروريات والأمر المهمة، وكثيراً ما يقع في الحرام ويرتكب الموبقات.

روى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن ولياً على عليه السلام لا يأكل إلا الحلال؛ لأن صاحبه عليه السلام كان كذلك، وإن ولياً عثمان لا يبالي أحلالاً - أكل أو حراماً؛ لأن صاحبه كذلك. قال: ثم عاد إلى ذكر على عليه السلام فقال: أما والذي ذهب بنفسه، ما أكل عليه السلام من الدنيا حراماً قليلاً ولا كثيراً حتى فارقه، ولا عرض له أمران كلاهما لله طاعة إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولا نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واليه شديدة قط إلا وجهه عليه السلام فيها ثقة به، ولا أطاق أحد من هذه الأمة عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واليه بعده غيره عليه السلام، ولقد كان عليه السلام يعمل عمل رجل كأنه ينظر إلى الجنة والنار، ولقد اعتق ألف مملوك من صلب ماله، كل ذلك تحفى فيه يدها وتعرق جبينه التماس وجه الله عز وجل والخلاص من النار، وما كان قوته عليه السلام إلا الخل والزيت، وحلواه التمر إذا وجد، وملبوسه الكرايس، فإذا فضل عن ثيابه شيء دعا بالجلم () فجزه().؟

وقال الإمام الصادق عليه السلام: كان على عليه السلام أشبه الناس طعمه وسيرة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واليه، وكان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم قال: وكان على عليه السلام يستقي ويحتطب، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز وترقع، وكانت من أحسن الناس وجهاً كأن وجنتيها وردتان، صلى الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وولدها الطاهرين().؟ وهذه الروايات كلها تدل على البساطة في العيش وهي من مقومات الاكتفاء الذاتي.

من سمات النجاح

إذن هناك سمات للإنسان الناجح، والمجتمع المتقدم في الحياة، وهي أمور عدة، من أهمها أمران:

الأول: الاكتفاء الذاتي، وذلك بأن يسد احتياجاته الصغيرة والكبيرة مهما أمكن بنفسه، ولا يتوقع أو ينتظر من الغير إسداء العون إليه. الثاني: أن تكون حياته قائمة على البساطة والزهد، بلا تكلف ولا اهتمام بالكماليات والمسائل الرفاهية المختلفة والشكليات المعقدة،

التي تهدر أوقاته وأمواله وعمره بالأموال التافهة مما يؤثر سلباً على الأصول المهمة في العيش، وذلك إقتداءً وأسوة بالأنبياء والأئمة والصالحين عليهم السلام حيث اتخذوا الزهد في الدنيا وما فيها.

مقومات الاكتفاء

ويرد هنا سؤال هو: كيف يمكن أن نقوى فينا واقع الاكتفاء الذاتي؟.

وماذا يجب أن نعمل كي نكتفى ذاتياً؟.

وفي الجواب نقول:

هناك مقدمتان أساسيتان تشكلان مبدأ الاكتفاء الذاتي في كل إنسان وكل مجتمع وكل أمة:

الأولى: ثقافة الاكتفاء، أي الفكر والتوعية التي تبين لنا أهمية الاكتفاء وضرورته في سبيل تقدم الفرد والأمة.

والثانية: التخطيط العملي للاكتفاء وم ثم تطبيق تلك البرامج والأفكار في الحياة اليومية والواقع المعاش، وهذه المقدمة الثانية أصعب من الأولى.

خير أسوة

إن أفضل أسوة وأحسن مصداق عملي للبساطة والزهد في العيش نجده في حياة الإمام أمير المؤمنين علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام؛ حيث جعلتا فراشهما جلد شاة بدلاً من الفراش والرياش، واستعملتا الأواني الخزفية التي كان يستخدمها أبسط الناس حينذاك، بدلاً من القوارير الفضية، وكانا يستعملان التراب في الغسل والتنظيف، حتى في غسل الأطفال وتنظيفهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إن علياً عليه السلام تزوج فاطمة عليها السلام على جرد برد، ودرع، وفراش كان من إهاب كبش().؟ وقال الإمام الباقر عليه السلام: لما تزوج علي فاطمة عليهما السلام بسط البيت كثيباً، وكان فراشهما إهاب كبش، ومرفقهما محشوة ليفاً، ونصبوا عوداً يوضع عليه السقاء فستره بكساء().؟

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: أدخل رسول الله صلى الله عليه و اله فاطمة علي علي عليه السلام وسترها عباءة، وفرشها إهاب كبش، ووسادتها آدم محشوة بمسد().؟

وعنه عليه السلام قال: إن فراش علي وفاطمة عليهما السلام كان سلخ كبش يقبله فينام على صوفه().؟

وعن جهاز أمير المؤمنين والصديقة الزهراء عليهما السلام يقول الإمام الصادق عليه السلام: وسكب الدراهم في حجره، فأعطى منها قبضة كانت ثلاثة وستين أو ستة وستين إلى أم أيمن لمتاع البيت، وقبضة إلى أسماء بنت عميس للطيب، وقبضة إلى أم سلمة للطعام، وأنفذ عماراً وأبا بكر وبلاًلاً لابتياح ما يصلحها، وكان مما اشتروه قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيرية، وسرير مزمل بشریط، وفراشان من خيش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جز الغنم، وأربع مرافق من آدم الطائف حشوها إذخر، وستراً من صوف، وحصير هجري، ورحاء اليد، وسقاء من آدم، ومخضب من نحاس، وقعب للبن، وشن للماء، ومطهرة مزفتة، وجره خضراء، وكيزان خزف وفي رواية ونطع من آدم، وعباءة قطوانى، وقربة ماء().؟

من كتاب زهد أمير المؤمنين عليه السلام عن عقيل بن عبد الرحمن الخولاني قال: (كانت عمتي تحت عقيل بن أبي طالب عليه السلام فدخلت على علي عليه السلام بالكوفة وهو جالس على بردعة() حمار مبتلة! قالت: فدخلت على علي عليه السلام امرأة له من بني تميم فقلت لها: ويحك إن بيتك ممتلئ متاعاً وأمير المؤمنين عليه السلام جالس على بردعة حمار مبتلة؟ فقالت: لا تلوميني فوالله ما يرى شيئاً ينكره إلا أخذه فطرحه في بيت المال().).

وقد كان كثير من الأصحاب المؤمنين يتبعون نفس هذا الأسلوب في الحياة الزوجية والاجتماعية، إقتداءً بهما عليهما السلام، وعملاً بما

جاء به رسول الله صلى الله عليه و اله.

ولذا نرى الأمة الإسلامية في عهد رسول الله ؟ وعهد أمير المؤمنين عليه السلام كانت من الأمم المتطورة والتي لا تحتاج إلى أي أمة أخرى في زراعتها وصناعتها وسلاحها وسائر ما يرتبط بحياتها.

وفي البيت العائلي

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل من بني سعد:

? ألا أحدثك عنى وعن فاطمة عليها السلام، أنها كانت عندى فاستقت بالقربة حتى أثر فى صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضر شديد.

فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حرّ ما أنت فيه من هذا العمل؟.

فأتى النبي صلى الله عليه و اله فوجدت عنده حدثاً، فاستحيت فانصرفت.

فعلم النبي صلى الله عليه و اله أنها قد جاءت لحاجه، فغدا علينا ونحن فى لحافنا، فقال: السلام عليكم، فسكننا واستحينا لمكاننا.

ثم قال: السلام عليكم، فسكننا.

ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك فيسلم ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف، فقلنا: وعليك السلام يا رسول الله، أدخل.

فدخل وجلس عند رؤوسنا، ثم فقال: يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمس عند محمد.

قال: فخشيت إن لم نجبه أن يقوم، فأخرجت رأسى فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنها استقت بالقربة حتى أثر فى صدرها، وجرت بالرحى حتى مجلت يدها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل.

قال: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما فكبرا أربعاً وثلاثين تكبيره، وسبّحاً ثلاثاً وثلاثين تسيحه، واحمداً ثلاثاً وثلاثين تحميدة.

فأخرجت فاطمة عليها السلام رأسها، فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله ورسوله().?

وعن جابر الأنصاري قال: إنه رأى النبي صلى الله عليه و اله فاطمة عليها السلام وعليها كساء من أجله الإبل، وهى تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه و اله فقال?: يا بنتاه، تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة. فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه. فأنزل الله?: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**().?()

سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

وهكذا كان أنبياء الله (صلوات الله عليهم أجمعين) كما أخبر الصادق الأمين، حيث ورد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله?: وإن شئت نبأتك بأمر داود خليفة الله فى الأرض كان لباسه الشعر وطعامه الشعير? إلى أن قال?: وإن شئت نبأتك بأمر إبراهيم خليل الرحمن، كان لباسه الصوف وطعامه الشعير، وإن شئت نبأتك بأمر عيسى ابن مريم فهو العجب كان يقول: إدامى الجوع، وشعارى الخوف، ولباسى الصوف().?

وفى الحديث: دخل الإمام الصادق عليه السلام الحمام، فقال له صاحب الحمام: نخليه لك؟.

فقال?: لا، إن المؤمن خفيف المثونة().?

وهذه الخفة والبساطة كانت السمة الغالبة لحياء المسلمين فى الصدر الأول للإسلام، وهى التى جعلتهم يتقدمون ذلك التقدم الباهر والسريع على سائر الأمم التى كانت معاصرة لبدء الإسلام، فاستطاعوا بذلك أن يفتحوا قسماً كبيراً من إمبراطورية الروم شمالاً، وبلاد

فارس شرقاً، فضلاً عن بلاد النجاشي، والهند، وجزء من الصين؛ لأن التقدم لا يحصل إلا بالهمة والنشاط والعمل، وهذه كلها لا تنسجم مع الحياة الناعمة والعيش المرفه الوثير، ولا تنسجم أيضاً مع الكسل والضجر واليأس وما أشبه.

العمل الدءوب

أتذكر ذات مرة، ذهبنا مع جماعة من الأصدقاء لزيارة مرقد أولاد مسلم عليهما السلام (في المسيب، وبعد أن وصلنا إلى هناك وأتممنا زيارتنا ذهبنا إلى جسر المسيب وكان الجو حاراً جداً. فرأينا العمال منهمكين في تصليح وترميم الجسر على الرغم من حرارة الجو اللاهبة، وعند الظهر حانت ساعة الاستراحة فتوقف جميع العمال عن العمل والتجئوا إلى الظل ليتناولوا غذاءهم ويحصلوا على قسط من الراحة. ولكن الأمر الذي لفت انتباهنا هو حالة المهندس الذي كان مسئولاً عن ترميم الجسر فإنه الوحيد الذي لم يرفع يده عن العمل، بل استمر تحت وهج الشمس المحرقة، يباشر فحص مواد التعمير ودراستها والتأكد من إتمام العمل فيها وعدم نقصه، ومع أن العرق كان يتصبب منه بغزارة لكنه لم يلتفت لذلك أبداً، ولم يسترح طوال الوقت حتى أنهى مهمته.

نعم، الذين يتقدمون في الحياة هم الذين لا يعرفون التعب، ويعملون ليل نهار بدون توقف، بالرغم من كل المشاكل والصعاب التي تعترض سبيلهم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: من بذل جهد طاقته بلغ كنه إرادته(.).?

وقال عليه السلام: ما أدرك المجد من فاته الجد(.).?

وقال عليه السلام: ما أقرب النجاح ممن عجل السراح(.).?

العمل في فترة الاستجمام

نقل أحد الأدباء (قصة ذكر فيها ما لمس من اهتمام الغربيين بالوقت حتى في أوقات استجمامهم، فقال:

سافرت مرة إلى تونس للاستجمام والترفيه عن النفس، وفي نفس الفندق الذي حجزت فيه غرفة، كان يقيم أيضاً شخص غربي، وبعد أن تعرفت عليه وحدثته، قال لي: بأنه جاء إلى تونس بحثاً عن معالم التراث والآثار القديمة، وكان هذا الشخص جاداً في عمله، فيوماً كان يخرج ويحمل معه مقداراً من الماء والخبز ومسحاة وفأساً، ويصطحب معه عاملاً، ويذهب إلى الصحارى المحيطة بتلك المنطقة، ويقوم بالحفر هنا وهناك، ويستخرج بعض الأحجار والآثار القديمة، ويأتي بها إلى الفندق ويجمعها.

وفي أحد الأيام، عندما كان خادم الفندق ينظف الغرف، ألقى بهذه الأحجار في سلة المهملات لجهله بها، فأخذتها سيارة القمامة والنفايات التابعة للبلدية، وألقها خارج المدينة مع سائر النفايات التي جمعتها. وعندما أتى هذا الرجل السائح واطلع على حقيقة الأمر تأثر تأثراً كبيراً، وقال بحزن وأسف شديدتين: قد ضاعت جهود شهرين كاملين، فإن هذه الأحجار كانت من أهم ما عثرت عليه من الآثار المهمة في هذه المنطقة وبسبب جهل الخادم ضاعت مني.

نعم، هؤلاء حتى في السياحة والاصطياف لا يضيعون الوقت بل يستغلونه بالبحث والتنقيب والتدقيق.

وكم رأينا من السياح والأجانب يأتون إلى كربلاء المقدسة من الأماكن البعيدة، فيقطعون المسافات الطويلة بواسطة الدراجات النارية مع بساطة الإمكانيات، نراهم يقضون الأيام والليالي في الصحارى والمناطق القاحلة، بلا ماء أو غذاء، ويصل الأمر بهم في بعض الأحيان إلى أكل الحشائش والأعشاب الصحراوية، ويستريحون في المزارع والحدائق العامة، أو على قارعة الطريق، ثم يستأنفون رحلتهم وجولتهم من أجل رؤية بلاد العالم عن كثب، ودراسة أوضاعها من قرب، ومعرفة أساليب معيشة الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم، وربما لأهداف أخرى كالتجسس وما أشبه، حيث إن بعض هؤلاء كان هدفهم التجسس وتمهيد السبيل للاستعمار، ولكن البعض الآخر منهم كان من السياح الحقيقيين الذين تهمهم قضايا المعرفة والاستطلاع.

ومهما كانت الأهداف فالكلام في الجد والعمل وعدم الضجر والكسل والملل.

المسلمون بين الأمس واليوم

قال تبارك وتعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.؟

إن حياة الدنيا ونعيمها ينالها عادة الذين يعملون ويجتهدون بلا ملل أو كلل، فيتعبون أنفسهم بكل عزيمة، جاعلين البساطة وعدم التعقيد شعارهم، كما أنهم يهتمون بالأمر الحقيقية المهمة ويتركون الجزئيات غير المهمة. بينما في الوقت الحاضر، نجد أن كثيراً من المسلمين يقضون أوقاتهم في طلب الراحة والدعة، والجاه والمنصب الفارغ من محتواه الحقيقي، فلا يفكرون في استقلالهم وحریتهم، بل وحتى لا يهتمون بحياتهم الخاصة وتقدمهم الاجتماعي والعلمي. ولو ألقينا نظرة فاحصة على تاريخ صدر الإسلام وذلك التقدم الكبير الذي حصل للمسلمين، لرأينا أن من أسبابه بساطة الحياة وعدم التعقيد.

ومن الشواهد التي يمكن أن نستشهد بها على ذلك، ما ذكر من أحداث ووقائع إبان فتح المسلمين لإيران التي كانت تسمى بالإمبراطورية الساسانية (١)، فكتب الله للمسلمين النصر لما اتصفوا به من همة عالية وإخلاص في النية وزهد في الدنيا، وتصميمهم القوي على إنقاذ الناس من نير حكام الجور والأنظمة الفاسدة. حيث ذكر أنه في ذلك اليوم عندما تحرك المسلمون من أجل تخليص بلاد فارس من القهر والظلم الكسروي، وبعد مناوشات عديدة مع جيش الفرس عسكروا في مقابل عسكرهم، فأرسل (رستم) قائد جيش الفرس رسولا يسألهم: لماذا أتيتم إلى قتالنا؟.

فأرسل المسلمون رجلاً منهم إلى رستم، يرتدى ملابس خلقه، ويحمل معه سيفاً بلا غمد، قد علقه بكتفه بحبل من خوص النخيل، فعندما شاهد رستم هيئة ولباس ذلك الرجل المسلم، قال له: أنتم الأعراب لم تكونوا تحاربون من أجل هدف، وإنما من أجل تحصيل حمل بعير من التمر أو الحنطة، وأنا الآن أعطيكم هذه الأشياء، فارفعوا أيديكم عن الحرب وعودوا إلى أوطانكم!. فقال له المسلم: كلامك صحيح سابقاً؛ إذ كنا أذلاء وضعفاء، وكنا نحارب لغرض السلب والنهب، ونبدل في ذلك دمائنا وأعراضنا، أما الآن فقد أعزنا الله وشرفنا بالإسلام، وجعلنا نفكر في إنقاذ المستضعفين من نير المستكبرين والطغاة، ولأجل ذلك جئنا إلى هذه الديار، فنحن نحارب لأجل الدنيا بل لأجل إنقاذ الناس ونشر الإسلام.

فأخرج رستم سيفاً مرصعاً بالجواهر والأحجار النفيسة وقال له: هذا هدية لك بشرط أن تعود!. فقال المسلم: كلا فإن هذا السيف لا ينفعنا، نحن نريد هداية الناس، ثم أخرج سيفه وضرب به سيف رستم فتطايرت بعض المجوهرات منه، فتحير رستم من هذه الجرأة والشجاعة وتعجب كثيراً لموقفه الحازم (٢).

نعم، هكذا كان يطمح المسلمون في نصره الإسلام، وإعلاء كلمة الله، وهداية الناس إلى الحق بهمم عالية، وبأرواح متفانية في سبيل الله عزوجل، ولذلك وصلوا إلى أهدافهم وأوصلوا الإسلام إلى مختلف آفاق المعمورة. وفي بعض التواريخ:

أنه ركب (رستم) غداة تلك الليلة وصعد مع النهر و صوب حتى وقف على القنطرة، وأرسل إلى زهرة فواقفه وعرض له بالصلح، وقال: كنتم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونحفظكم، ويقرر صنيعهم مع العرب، ويقول زهرة: ليس أمرنا بذلك وإنما طلبنا الآخرة، وقد كنا كما ذكرت إلى أن بعث الله فينا رسولا دعانا إلى دين الحق فأجبناه وقال: قد سلطتكم على من لم يدن به وأنا منتقم بكم منهم وأجعل لكم الغلبة.

فقال رستم: وما هو دين الحق؟.

فقال: الشهادتان، وإخراج الناس من عبادة الخلق إلى عبادة الله، وأنتم أخوان في ذلك.

فقال رستم: فإن أجبنا إلى هذا ترجعون؟.

فقال: إى والله.

فانصرف عنه رستم ودعا رجال فارس وذكر ذلك لهم، فأنفوا وأرسل إلى سعد قائد الجيش: أن ابعث لنا رجلاً نكلمه ويكلمنا. فبعث إليهم ربعى بن عامر، وحبسوه على القنطرة حتى أعلموا رستم، فجلس على سرير من ذهب، وبسط النمارق والوسائد منسوجة بالذهب. وأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقه ورمحه مشدودة بعصب، وقدم حتى انتهى إلى البساط ووطئه بفرسه، ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما، فلم يقبلوا ذلك وأظهروا التهاون، ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها، وأشاروا إليه بوضع سلاحه، فقال: لو أتيتكم فعلت كذا بأمركم وإنما دعوتمونى.

ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه حتى أفسد ما مر عليه من البسط، ثم دنا من رستم وجلس على الأرض، وركز رمحه على البساط، وقال: إنا لا نقعد على زينتكم. فقال له الترجمان: ما جاء بكم؟.

فقال: الله بعثنا لنخرج عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركانه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفىء إلى الجنة أو الظفر.

فقال رستم: هل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟.

قال: نعم، كم أحب إليك يوماً أو يومين؟.

قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا؟.

فقال: إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه و اله أن لا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فانظر فى أمرك وأمرهم واختر: إما الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزية فنقبل ونكف عنك وان احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة فى الرابع إن تبند، وأنا كفيل بهذا عن أصحابى.

قال: أسيدهم أنت؟.

قال: لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يجيز بعضهم عن بعض، يجيز أدناهم على أعلاهم.

فخلا رستم برؤساء قومه، وقال: رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل؟.

فأروه الاستخفاف بشأنه وثيابه، فقال: ويحكم، إنما أنظر إلى رأى والكلام والسيرة، والعرب تستخف اللباس وتصون الاحساب.

ثم أرسل إلى سعد: أن ابعث إلينا ذلك الرجل. فبعث إليهم حذيفة بن محصن، ففعل كما فعل الأول ولم ينزل عن فرسه، وتكلم وأجاب مثل الأول.

فقال له: ما قعد بالأول عنا؟.

فقال: أميرنا يعدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى.

فقال رستم: والمواعدة إلى متى؟.

فقال: إلى ثلاث من أمس.

وانصرف وحاص رستم بأصحابه يعجبهم من شأن القوم، وبعث فى الغد عن آخر فجاءه المغيرة، فلما وصل إليهم وهم على زيهم وبسطهم على غلوة من مجلس رستم، فجاء المغيرة حتى جلس معه على سريره فأنزلوه.

فقال: لا أرى قوماً أسفه منا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً فظننتكم كذلك، وكان أحسن بكم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض، مع أنى لم آتكم وإنما دعوتمونى، فقد علمت أنكم مغلوبون ولم يقم ملك على هذه السيرة.

فقال السفلة: صدق والله العربى.

وقالت الأساطين: لقد رمانا بكلام لا تزال عبيدنا يزعون إليه، قاتل الله من يصغر أمر هذه الأمة.

ثم تكلم رستم فعظم من أمر فارس، بل من شأن فارس وسلطانهم، وصغر أمر العرب، وقال: كانت عيشتكم سيئة وكنتم تقصدونا في الجذب ففردكم بشيء من التمر والشعير، ولم يحملكم على ما صنعتكم إلا ما بكم من الجهد، ونحن نعطي أميركم كسوة وبغلاً وألف درهم، وكل رجل منكم حمل تمر وتنصرفون، فلست اشتهدى قتلكم.

فتكلم المغيرة وخطب فقال: أما الذي وصفنا به من سوء الحال والضيق والاختلاف فنعرفه ولا ننكره، والدنيا دول والشدة بعدها الرخاء، ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم قليلاً عما أوتيتهم، وقد أسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال، وإن الله بعث فينا رسولاً. ثم ذكر مثل ما تقدم إلى التخيير بين الإسلام أو الجزية أو القتال وقال: يدخل من قُتل منا الجنة، ويظفر من بقي منا بكم. فاستشاط رستم غضباً وحلف أن لا يقع الصلح أبداً حتى أقتلكم أجمعين، وانصرف المغيرة.

وخلا رستم بأهل فارس وعرض عليهم مصالحة القوم، وحذرهم عاقبة حربهم فلجوا، وبعث إليه سعد يعرض عليه الإسلام ويرغب، فأجابته بمثل ما كان يقول لأولئك من الامتنان على العرب والتعريض بالمطامع، فلم يتفق شيء من رأيهم (١).

ابن سينا

يمر حوالى ألف سنة على وفاة ابن سينا (٢) وهو من كبار علماء المسلمين وكان فريداً في زمانه، وقد كتب كتباً قيمة وكثيرة في الطب وباقي العلوم، فإن كتبه الغنية حتى في هذا الزمان موضع إقبال أهل العلم والمعرفة في شتى الفنون، مع أنه لم يكن من ورائه مال أو دولة تدعمه، وما ذلك إلا لأنه كان راسخ العزم في العمل المتواصل، وكان صاحب هممة عالية من أجل التحقيق والتدقيق، وبذلك استطاع أن يحتل موقعاً رائعاً في التاريخ الإسلامى والإنسانى.

يذكر ابن سينا في قصة حياته: إنه كان يقرأ ويراجع بعض المطالب أربعين مرة حتى يفهمها ويدرك مغزاها، وهذا الاستمرار عمل صعب جداً ولا يستطيع كل أحد أن يفعله، ولذلك نراه قد تقدم وترقى وقدم للناس، بينما كثير من العلماء والمحققين في العصر الحاضر لا يتوصلون إلى ما توصل إليه ابن سينا.

ينقل القفطى في كتاب تاريخ الحكماء (٣) عن ابن سينا قوله:

ثم عدت إلى العلم الإلهى وقرأت كتاب (ما بعد الطبيعة)، فما كنت أفهم ما فيه، والتبس عليّ غرض واضعه، حتى أعدت قراءته أربعين مرة، وصار لى محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به، وأيست من نفسى، وقلت: هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه. فإذا أنا فى يوم من الأيام حضرت وقت العصر فى الوراقين ويبد دلال مجلد ينادى عليه، فعرضه عليّ فرددته رد متبرم معتقد أن لا فائدة فى هذا العلم. فقال لى: اشتر منى هذا، فإنه رخيص أبيعك بثلاثة دراهم، وصاحبه محتاج إلى ثمنه. فاشتريته فإذا هو كتاب لأبى نصر الفارابى فى أغراض ما بعد الطبيعة. فرجعت إلى بيتى وأسرعت قراءته، فانفتح عليّ فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه قد صار لى على ظهر القلب، وفرحت بذلك وتصدقت ثانى يومه بشيء كثير على الفقراء شكر الله تعالى (٤).

وينقل عن ابن سينا أنه قال: إن مما كلفنى استادى فى الأدب حفظ ديوان ابن الرومى، فحفظته فى ستة أيام ونصف يوم (٥).

وقيل: إن أحداً من فحول علماء أصفهان المسمى بأبى منصور كان حاضراً فى مجلس السلطان علاء الدولة، فبلغ الكلام إلى علم اللغة، فتصرف الشيخ أى ابن سينا فيه، فقال له أبو منصور: أنت حكيم وليس لك خبر وإطلاع باللغة، وهى محتاجة إلى السماع ولم تتبع فى متن اللغة.

فاستنكف الشيخ من هذا الكلام، فواظب اللغة والمطالعة فيها ودرسها فضببطها فى قليل من الزمان، فأنشد قصائد ثلاثة ورسائل كذلك، وأدرج فيها الألفاظ الغريبة واللغات العجيبة وسودها فى قراطيس عتيقة وطلب من علاء الدولة مجمعاً بين أبى منصور وبينه، وقال له: إنى أريد الإطلاع على مضامين هذه الأوراق وترجمتها.

فعمل بمقتضى سؤاله، فسئل من أبى منصور معانى تلك الألفاظ فى الأوراق، فمهما اختفى عليه معنى لغة منها بينها الشيخ، وكان

يقول: إنها في الكتاب مسطور ومعناها كذا وكذا.

فالتفت أبو منصور من مزيد الكياسة والفظانة أن هذه القصائد والرسائل من مؤلفات الشيخ، فلا جرم قد قدم بالاعتذار وأقر بفضيلة الشيخ وتقدمه في كل العلوم.

وقد نقل أنه قد كتب رسالته في المنطق، فاتفق وقوعها في شيراز بيد علمائها، وقد اشتبه عليهم كثير من مواضعها لم ينكشف، فثبتوا موارد الاشتباه في جزء وأعطوه بيد من يحمله إلى الشيخ، وينحل عقدها ويرتفع الحجاب والستور عن وجوهها، فوصل إلى أصفهان عند غروب الشمس في فصل الحرارة، فلاقاه وأخذ الجزء.

فلما فرغ من صلاة العشاء الآخرة اشتغل بمطالعة وتدوين جوابه، وقد كتب في خمسة أجزاء كل جزء عشرة أوراق، ثم نام وصلى صلاة الصبح أداءً على قانونه وطريقته، وأعطى الأجزاء بيد أبي القاسم وقال: استعجلت في الجواب، فتعجب أبو القاسم.

قال ابن سينا: ورغبت في الطب وبرزت فيه وقرؤوا عليّ، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه، وأناظر ولي ست عشرة سنة. ثم قرأت جميع الفلسفة، وكنت كلما أتخبر في مسألة، أو لم أظفر بالحد الأوسط في قياس، ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح لي المنغلق منه. وكنت أسهر... إلى أن قال حتى استحکم معي جميع العلوم، وقرأت الكتاب (ما بعد الطبيعة)، فأشكل عليّ حتى أعدت قراءته أربعين مرة، فحفظته ولا أفهمه، فأيست. ثم وقع لي مجلد لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب (ما بعد الحكمة الطبيعية)، ففتح عليّ أغراض الكتب ففرحت وتصدقت بشيء كثير.

واتفق لسلطان بخارى نوح مرض صعب، فأحضرت مع الأطباء وشاركتهم في مداواته، فسألت إذناً في نظر خزانه كتبه، فدخلت فإذا كتب لا تحصى في كل فن فظفرت بفوائد إلى أن قال فلما بلغت ثمانية عشر عاماً فرغت من هذه العلوم كلها، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه معي اليوم أنضح، وإلا فالعلم واحد لم يتجدد لي شيء، وصنفت (المجموع) فأتيت فيه على علوم، وسألني جارنا وكان مائلاً إلى الفقه والتفسير والزهد، فصنفت له (الحاصل والمحصل) في عشرين مجلده، ثم تقلدت شيئاً من أعمال السلطان، وكنت بزي الفقهاء إذ ذاك بطيلسان محنك، ثم انتقلت إلى نسا ثم أبا ورد وطوس وجاجرم ثم إلى جرجان.

قال ابن سينا: لما بلغت التميز سلمني أبي إلى معلم القرآن ثم إلى معلم الأدب، فكان كل شيء قرأ الصبيان على الأديب أحفظها، والذي كلفني أستاذي كتاب (الصفات) و(غريب المصنف) ثم (أدب الكاتب) ثم (إصلاح المنطق) ثم (كتاب العين) ثم (شعر الحماسة) ثم (ديوان ابن الرومي) ثم (تصريف المازني) ثم (نحو سيبويه) فحفظت تلك الكتب في سنة ونصف سنة، ولولا تعويق الأستاذ لحفظتها بدون ذلك، وهذا مع حفظي وظائف الصبيان في المكتب، فلما بلغت عشر سنين كان في بخارى يتعجبون مني، ثم شرعت في الفقه فلما بلغت اثنتي عشرة سنة كنت أفتي في بخارى على مذهب أبي حنيفة، ثم شرعت في علم الطب، وصنفت (القانون) وأنا ابن ست عشرة سنة، فمرض نوح بن منصور الساماني، فجمعوا الأطباء لمعالجته فجمعوني معهم، فأرأوا معالجتى خيراً من معالجات كلهم فصلح على يدي. فسألته أن يوصي خازن كتبه أن يعيرني كل كتاب طلبت ففعل، فرأيت في خزائنه كتب الحكمة من تصانيف أبي نصر طرخان الفارابي، فاشتغلت بتحصيل الحكمة ليلاً ونهاراً حتى حصلت لها، فلما انتهى عمري إلى أربع وعشرين كنت أفكر في نفسي ما كان شيء من العلوم أني لا أعرفه.

وهذه نماذج من حياة الذين عملوا وأتعبوا أنفسهم وسهروا الليالي طلباً لما أرادوه فوصلوا إليه.

طعم الحياة

إن البساطة في العيش هي مسؤولية الحكام أولاً، فإن من تولى أمور الناس عليه أن يعيش بحال أضعفهم، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام في حكومتهما العادلة.

جاء في نهج البلاغة: من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة، وقد بلغه: أنه دُعي

إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها، فقال له:

?أَمَا بَعْدُ يَا ابْنَ حَنِيفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصِيرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادِيَةِ، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسَيِّطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمِ عَائِلِهِمْ مَجْمُوعًا، وَغَيْبِهِمْ مَدْعُوعًا.

فَانظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِطْهُ، وَمَا أَيَقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلَّ مِنْهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِنِهِ، وَمِنْ طَعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعْيُونِي بَوْرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسِدَادٍ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا، وَلَا أَدَخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًا، وَلَا أَعِيدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طَمْرًا، وَلَا حَزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْرًا، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبْرَهُ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصِهِ مَقْرَهُ. بَلَى كَأَنْتَ فِي أَيْدِينَا فَدَكُّ () مِنْ كُلِّ مَا أَظْلَمْتَهُ السَّمَاءُ، فَسَحَّحْتَ عَلَيْهَا نُفُوسَ قَوْمٍ، وَسَحَّحْتَ عَنْهَا نُفُوسَ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنَعِمَ الْحَكَمُ اللَّهُ، وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَاكَ وَعَيْرِ فَدَاكَ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي عَدِّ جَدَّتْ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آتَارُهَا، وَتَغِيْبُ أَحْبَابُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فَسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَا ضَعْفَ لَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدْرُ، وَسَدَّ فَرْجَهَا التُّرَابُ الْمُتْرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى، لِتَأْتِيَ أَمْنَهُ يَوْمَ الْحَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَرْلِقِ.

وَلَوْ شِئْتُ لَا هَتَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَرِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْهِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبْعِ، أَوْ آيَتِ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَزَوِي، وَأَكْبَادٌ حَزَوِي، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِيْطَنَهُ

وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ

أَفْتَعُ مِنْ نَفْسِي بَأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارُ كُهُمُ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونُ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ، فَمَا خُلِقْتُ لِيشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبِهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلْفُهَا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِسُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدَى، أَوْ أَهْمَلَ عَابًا، أَوْ أُجِرَّ حَبْلُ الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسَفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ.

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعِدَ بِهِ الضَّعْفُ عَن قِتَالِ الْأَقْرَانِ، وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ، أَلَا وَإِنَّ الشَّجْرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُودًا، وَالرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُودًا، وَالنَّابِتَاتِ الْعَدِيَّةَ أَقْوَى وَقُودًا، وَأَبْطَأَ حُمُودًا، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالضُّوءِ مِنَ الضُّوْءِ، وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعُضْدِ، وَاللَّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلِئْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمَكَّنْتَ الْفُرْصَ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وَسَاجِدًا فِي أَنْ أُطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمُرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ.

إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلِكَ عَلَى غَارِبِكَ، قَدْ انْسَلَّتْ مِنْ مَخَالِكَ، وَأَفَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ، وَاجْتَنَبْتُ الدَّهَابَ فِي مَدَا حِضِّكَ.

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَزَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكَ؟

أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِرَحَارِفِكَ؟

فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ.

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ شَخْصًا مَزِيئًا، وَقَالِبًا حَسِيًّا، لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِيَادِ غَزَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِي، وَأَمَمَ أَلْقِيَتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمَلُوكِ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلْفِ، وَأُورِدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدَرَ. هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَخْصَكَ زَلَقًا، وَمَنْ رَكِبَ لُجْجَكَ غَرَقًا، وَمَنْ انزَوَرَ عَيْنَ حَبَائِلِكَ وَفَقَّ، وَالسَّلَامُ مِنْكَ لَا يَبِيءُ إِلَى إِنْ ضَاقَ بِهِ مَنَاحُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمِ حِرَانَ انْسِيَ لَاحُهُ. اغْرَبِي عَنِّي فَوَاللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَشْتَدِّلِينِي، وَلَا أَسْلُسُ لَكَ فَتَقُودِينِي.

وَإِيْمَ اللَّهِ، يَمِينًا أَسْتَشْنِي فِيهَا بِمَسِيئَةِ اللَّهِ، لِأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَفْعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُومًا،

وَلَا دَعَنَّ مَقَلَّتِي كَعَيْنِ مِيَاءٍ نَضَبَ مَعِينِهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا، أَمْ تَمْلِي السَّائِمَةَ (١) مِنْ رَغِيهَا فَتَبْرُكَ! وَتَشْبَعُ الرِّبِيضَةَ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرِيضَ! وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ، قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةَ بِالْبَيْمَةِ الْهَامِلَةَ، وَالسَّائِمَةَ الْمَرْعِيَّةَ. طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُوسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمُضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعَشَرَ أَسْهَرِ عُمُومِهِمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمَّهَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شَفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ؟، أَوْلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢).؟ فَاتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، وَتَلْتَكُفُّ أَقْرَاصَكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصَكَ (٣).؟

نعم، إن طعم الحياة ولذتها والمعاني الحقيقية فيها تكمن في خوض الصعوبات في سبيل الله، وفي تحمل المشاكل لوجه الله.

وجنى الثمار المفيدة تتم عبر الاكتفاء الذاتي والبساطة في العيش، وليس عبر الرفل بالنعيم والراحة.

نعم، على الإنسان أن يجعل اللذة في سبيل الوصول إلى الهدف الأسمى، لا لأجل صرف الوقت في الملهيات والهوى وملء البطن والتمتع والأمور التافهة.

وهناك بعض القصص من حياتنا المعاصرة تدل على الفرق بين من يعمل ومن لا يعمل.

الفرق بين الشخصيتين

سافر اثنان من طلبة العلوم الدينية لأجل التبليغ خارج بلدتهم، وكان أحدهما يمتاز بروحية عالية، وقد ربي نفسه على البساطة في العيش والاكتفاء الذاتي في أموره مهما أمكن؛ لذلك فقد أحرز نجاحاً واسعاً في مهمة التبليغ، وكان يشعر براحة نفسية كبيرة؛ لأنه قد قام بواجبه وأوصل رسالته ونال هدفه، فكان يتحدث عن تجربته الناجحة وما أنجزه بروحية عالية وسعادة بالغة، وكان على أمل حصول الثواب الإلهي الذي وفق لأسبابه في مجال التبليغ وهداية الناس ونشر المذهب الحق، رغم الصعاب التي كان لاقاها والمشاق التي تحملها.

أما الثاني، حيث لم يكن قد ربي نفسه على روح البساطة والاكتفاء، وكان يتصور بأنه متى ما يباشر في التبليغ فإن الناس سوف يهرعون إليه، ويستقبلونه بحرارة فائقة ويلبون جميع حوائجه ويقضونها له؛ لذلك عندما صدمه الواقع وخالف توقعاته عاد من التبليغ وهو ساخط على الناس غير راض عنهم. فكان أينما يجلس يبدأ بث آلامه وهمومه، ويقول: نحن في آخر الزمان، فالناس لا ينفعمهم التبليغ والإرشاد، إلى غير ذلك من الأعذار والعلل الضعيفة.

إن الفرق بين هذين الشخصين، إنما هو في الشخصية: فإن أحدهما كان قد ربي نفسه وبنهاها على الاكتفاء الذاتي والبساطة في العيش، ووطنها على العمل الجاد والمثابرة والمبادرة في كل شيء مما يرضى الرب عزوجل، بينما الثاني ترك نفسه ولم يربها على الاكتفاء الذاتي والبساطة، بل رباها على الاتكال على الغير، والانتظار من الجميع ليهبوا في خدمته وإنجاز أعماله ووظائفه.

الحسينية العامرة

وفي قصة أخرى، سُلمت إدارة حسينية من الحسينيات إلى أحد الأشخاص، وذلك للإشراف عليها وإقامة البرامج والأنشطة الدينية فيها. فعندما حل شهر محرم الحرام وباشر بإقامة المجالس فيها، لوحظ الجمود والرتابة فيها وعدم الإقبال والتفاعل من قبل الناس على هذه الحسينية على عكس سائر الحسينيات، وفي النهاية آلت إدارة هذا الفرد إلى الفشل، ولم يستطع أن يقدم شيئاً في هذا المجال، ولا أن يجمع الناس حوله لإنجاح الحسينية.

عند ذلك أوكلت مهام هذه الحسينية إلى فرد آخر لإدارتها، فأجاد في إدارتها وأقام فيها مأتماً ضخماً، بالرغم من أنه لم يكن من أهل العلم، فسألته عن سبب هذا التجمع الغفير والبرنامج الضخم في جميع المجالات من إقامة العزاء والطبخ وما أشبهه، فقال: إنني استقبل

كل من يدخل الحسينية بحرارة وأودعه بحفاوة وتقدير، وأقول له: أنت جئت إلى هذا المكان من أجل الإمام الحسين عليه السلام فماذا تهدي وتقدم للإمام عليه السلام؟ فأحدهم يهدى شاة والآخر أرزاً، والثالث سمناً، وهكذا، وكان هذا الأسلوب باعثاً شديداً على قوة المجالس واستمرارها في هذه الحسينية.

ونفس هذا الفرد عند ما كان في كربلاء المقدسة أو كلت إليه إدارة مسجد خلف صحن مولانا أبي الفضل العباس عليه السلام، وكان خرباً ومفروشاً بالحصير. فعندما تسلمه هذا الفرد، عمد أولاً إلى تعمييره تعميراً حسناً، ثم فرش به فراش جيد، وأقام فيه صلاة الجماعة، وأعاد للمسجد رونقه المادي والمعنوي.

وكان السبب في هذا النشاط هو الروح الكبيرة والهمة العالية التي امتاز بها، مضافاً إلى الاعتماد على المواهب الذاتية الكامنة في نفسه وفي نفوس إخوانه المؤمنين من جهة أخرى.

الشكوى دائماً

وهناك أفراد خاملون وقاعدون، تراهم يشكون دائماً وفي كل الأحوال، ويثون شكواهم لهذا وذاك باستمرار، ومن دون سبب أو داعٍ مقبول، حتى أن أحدهم عندما كنت أسأله عن أحواله وصحته كان يشتكى ويتألم دائماً، حتى صار بث الهم والشكوى من سماته. فكان كثير الشكوى، وعندما لم تكن لديه أية مشكلة كان يشتكى حتى من الخدشة!، ففي مرة سألته عن حاله؟. فقال: في الليلة الماضية آذنتي ذبابة!!

ولذلك كان أصدقاؤه يتحاشون السؤال عن أحواله.. لأن جوابه كان الشكوى والتذمر من كل شيء للحالة النفسية التي يحملها.

استثمار الوقت

ذكروا في أحوال المحدث القمي (?) صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) والكتب الأخرى المفيدة:

إن أحد المؤمنين كان قادماً ذات يوم من مدينة آراك إلى مدينة قم المقدسة، وفي الطريق بين المدينتين يرى الشيخ عباس القمي؟ وحيداً في الصحراء، جالساً على جانب الطريق، وهو منهمك في الكتابة والتأليف، فتعجب من ذلك، وأوقف سيارته عنده وسأله عن سبب وجوده في الصحراء؟!

فقال: إن السيارة التي كانت تقلني قد تعطلت في منتصف الطريق، وقال سائق السيارة: بأن حصول هذه النكبة وعطب السيارة إنما لحقنا بسببك!، ثم أنزلني من السيارة وتركني كما ترى، وذهبوا بعدما أصلحوا السيارة، والآن مضى علي تواجدي هنا ساعتان تقريباً، ومن أجل الاستفادة من الوقت وعدم هدره أخذت بالكتابة والتأليف!

يقول هذا الشخص: فطلبت من الشيخ أن أوصله إلى قم المقدسة بسيارتي، فلم يمانع؟.

نعم، هكذا يجب أن يُستثمر الوقت ويُستفاد من فرص العمر في العمل حتى يتحقق الاكتفاء الذاتي والبناء والتقدم، كما يلزم التحلي بالباطة في العيش والزهد في الدنيا، وبذلك يمكن التقدم في الحياة الشخصية والاجتماعية.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنِّ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْتَدِلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطَى شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَقْتِنَنَّ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَى بِدَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ (؟).

من هدى القرآن الحكيم

حقيقه الزهد:

قال تعالى:

لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ.().?

وقال سبحانه: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ.().?

الحث على العمل:

قال عز وجل: وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ.().?

وقال سبحانه: قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي

عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ.().?

وقال تعالى: وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ.().?

وقال سبحانه: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ.().?

وقال تعالى: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ.().?

وقال سبحانه: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا.().?

وقال تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا.().?

وقال سبحانه: فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ.().?

من هدى السنة المطهرة

البساطة في العيش:

روى: أنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه و اله: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ عليهم السلام لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ،؟ بكى النبي صلى الله عليه و اله بكاءً شديداً وبكت صحابته لبكائه، ولم يدروا ما نزل به جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه و اله من الوحي، ولم يستطع أحدٌ من صحابته أن يكلمه، وكان النبي صلى الله عليه و اله إذا رأى فاطمة عليها السلام فرح بها. فانطلق بعض أصحابه إلى باب بيتها فوجد بين يديها شعيراً وهي تطحن فيه، وتقول: وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى،؟ فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي صلى الله عليه و اله وبكائه.

فنهضت والتفت بشملة لها خلقة، قد خيطت في اثني عشر مكاناً بسعف النخل، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى، وقال: واحزنانه، إن بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحريز، وابنة محمد صلى الله عليه و اله عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً!! فلما دخلت فاطمة عليها السلام على النبي صلى الله عليه و اله قالت: يا رسول الله، إن سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق، مالي ولعلي منذ خمس سنين إلا مسك كبشٍ نعلف عليها بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإن مرفقتنا لمن آدمٍ حشوها ليفٌ.؟ فقال النبي صلى الله عليه و اله: يا سلمان، إن ابنتي لفي الخيل السوابق.().?

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقع بالملح مادوماً.().?

وقال الإمام الصادق عليه السلام: قال عيسى بن مريم عليه السلام في خطبة قام بها في بني إسرائيل: أصبحت فيكم وإدامي الجوع، وطعامي ما تنبت الأرض للوحوش والأنعام، وسراجي القمر، وفراشي التراب، ووسادتي الحجر، ليس لي بيت يخرب، ولا مال يتلف، ولا ولد يموت، ولا امرأة تحزن. أصبحت وليس لي شيء، وأمست وليس لي شيء، وأنا أغني ولد آدم.().?

وقال إسماعيل بن جابر: أتيت أبا عبد الله عليه السلام وإذا هو في حائط له، بيده مسحاة وهو يفتح بها الماء، وعليه قميص شبه الكرايس، كأنه مخيط عليه من ضيقه.().?

الزهد:

قال رسول الله صلى الله عليه و اله?: ما اتخذ الله نبياً إلا زاهداً(.)?.

وقال صلى الله عليه و اله?: ما يعبد الله بشيء مثل الزهد فى الدنيا(.)?.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام?: العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة(.)، ونعم القرين الرضا(.)?.

وقال الإمام الصادق عليه السلام?: جعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا(.)?.

ذم الطمع:

قال رسول الله صلى الله عليه و اله: «إياكم واستشعار الطمع! فإنه يشوب القلب شدة الحرص، ويختم على القلوب بطابع حب الدنيا، وهو

مفتاح كل سيئة، ورأس كل خطيئة، وسبب إحباط كل حسنة(.)?.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام?: ما هدم الدين مثل البدع، ولا أفسد الرجال مثل الطمع. إياك والأمانى! فإنها بضائع النوكى(.)?.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام?: الطمع سجية سيئة(.)?.

وقال الإمام الباقر عليه السلام?: بئس العبد عبد له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذله(.)?.

العمل:

قال أمير المؤمنين عليه السلام?: الإخلاص خير العمل(.)?.

وقال عليه السلام?: قدموا الخير تغنموا، وأخلصوا أعمالكم

تسعدوا(.)?.

وقال عليه السلام?: أفضل العمل ما أريد به وجه الله(.)?.

وقال عليه السلام?: من نصح فى العمل نصحته المجازاة(.)?.

وقال عليه السلام?: لا يدرك أحد رفعة الآخرة إلا بإخلاص العمل، وتقصير الأمل، ولزوم التقوى(.)?.

وقال عليه السلام?: تصفية العمل أشد من العمل(.)?.

بى نوشتها

() الإسلام وشهادات الأغيار، لمؤلفه محمد الرضى الرضى المطبوع ضمن كتابه (لماذا اخترنا الدين الإسلامى؟): ص ٢١٣، مطبعة

المعارف بغداد، عام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

() المصدر السابق: ص ٢١٢.

() الإرشاد، للشيخ المفيد: ج ١ ص ٣٠٣ ومن كلامه عليه السلام فى وصف الإنسان.

() لماذا اخترنا الدين الإسلامى?: الغلاف الأخير.

() سورة الإسراء: ١٩ ٢٠.

() بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٠٨ ب ٤٩ ح ١١.

() أى: عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

() فقه الرضا عليه السلام: ص ٣٦٧ ب ١٠٠.

() جَلَمَ الشَّيْءَ يَجْلِمُهُ جَلْمًا: قطعهُ. والجَلْمَانِ: المِرْضَانِ، واحدهما جَلْمٌ للذى يُجَزُّ به. لسان العرب: ج ١٢ ص ١٠٢ مادة جلم.

() الكافى: ج ٨ ص ١٦٣ حديث الناس يوم القيامة ح ١٧٣.

() الكافى: ج ٨ ص ١٦٥ حديث الناس يوم القيامة ح ١٧٦.

() الكافى: ج ٥ ص ٣٧٧ باب ما تزوج عليه أمير المؤمنين عليه السلام فاطمة ح ١.

- (١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١١٧ ب ٥ ح ٢٥.
- (٢) مكارم الأخلاق: ص ١٣١ الفصل العاشر فى النجد والأثاث والفرش والتواضع فيها.
- (٣) مكارم الأخلاق: ص ١٣١ الفصل العاشر فى النجد والأثاث والفرش والتواضع فيها.
- (٤) المناقب: ج ٣ ص ٣٥٢-٣٥٣ فصل فى تزويجها عليها السلام.
- (٥) البرذعة: المجلس الذى يلقى تحت الرحل، والجمع البراذع، وخص بعضهم به الحمار، وقيل هى برذعة وبرذعة بالذال والذال. انظر لسان العرب مادة برذع.
- (٦) مكارم الأخلاق: ص ١٣٢ الفصل العاشر فى النجد والأثاث والفرش والتواضع فيها.
- (٧) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٣٢٠-٣٢١ باب وصف الصلاة من فاتحتها إلى خاتمتها ح ٩٤٧.
- (٨) سورة الضحى: ٥.
- (٩) المناقب: ج ٣ ص ٣٤٢ فصل فى سيرتها عليها السلام.
- (١٠) مستدرک الوسائل: ج ٣ ص ٢٥٤ ب ١٥ ح ٣٥١٧.
- (١١) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ١١٧ باب غسل يوم الجمعة ح ٢٤٩.
- (١٢) هما الشهيدان محمد وإبراهيم ابنا الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام اللذان قتلوا على يد أحد جلاوزة عبيد الله بن زياد، ومرقدهما يقع بالضواحي الغربية لمدينة المسيب التى تقع شمال مدينة كربلاء المقدسة حوالى (٣٠ كم) على ضفاف نهر الفرات، وما زال مرقدهما عامراً يؤمه المحبون والموالون لأهل البيت عليهم السلام، وتعلو المرقد الشريف قبتان ترمزان إلى القبرين الشريفين وتجرى الآن عمليات إكسائهما بالذهب، وأمام المرقد صحن واسع تحوطه مجموعة من الغرف يقطنها الزائرون الذين يرومون المبيت فى جوار المرقد الشريف.
- (١٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ق ٦ ب ٤ ف ٢ فوائد السعى والجد ح ١٠١٣٢.
- (١٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٣ ق ٦ ب ٤ ف ٢ مدح السعى والجد والتحريض إليهما ح ١٠١٢٠.
- (١٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٤ ق ٦ ب ٤ ف ٢ فوائد السعى والجد ح ١٠١٣٤.
- (١٦) هو الكاتب المصرى مصطفى محمود.
- (١٧) سورة الإسراء: ٢٠.
- (١٨) مملكة فارسية قامت على أنقاض الأرشاقين الفرثيين، (٢٢٤ ٦٥١م) عاصمتها المدائن، انتهت على يد المسلمين حين فتحوا بلاد فارس، أسسها أردشير الذى استولى على طيسفون وقضى على اربطان الخامس آخر ملك أرشاقى، أشهر ملوكها: شابور أو سابور الأول والثانى، وبهرام الخامس، وكسرى الأول والثانى، وبلغ من شهرة كسرى أنه سميت باسمه الإمبراطورية الكسروية، امتدت حدودها من أرمينيا إلى سورية ومصر حتى وصلوا إلى اليمن، حاربها الروم البيزنطيون، فتحها المسلمون وكان آخر ملوكها يزدجرد الثانى.
- (١٩) انظر تاريخ ابن خلدون ق ٢: ج ٢ ص ٩١ باب أخبار القادسية، وتاريخ الطبرى: ج ٣ ص ١٥ وما بعدها السنة الرابعة عشر. وفتوح البلدان: ج ٢ ص ٣١٥ يوم القادسية.
- (٢٠) تاريخ ابن خلدون ق ٢: ج ٢ ص ٩٤-٩٦ أخبار القادسية.
- (٢١) الشيخ الرئيس أبو على بن سينا (٣٧٠ ٤٢٨هـ) الحسين بن عبد الله بن سينا، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف فى الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات. ذهب إلى المكتب وعمره خمس سنين، فأكمل الأصول العربية والقواعد الأدبية وله من العمر عشر سنين،

فتتلمذ عند محمود مساح في علوم الحساب والهندسة والجبر والمقابلة بإشارة والده، قرأ المنطق من أقسام مسائل الحكمة والإقليدس والمجسطي على الحكيم عبد الله بابلي في بخارى، وبعد ذلك اشتغل في الحكمة الطبيعية والإلهية، ففتحت له أبواب العلوم. ثم اشتغل بتحصيل علم الطب، فترقى في زمان قليل، فصار وحيداً في ذلك الفن، ومع ذلك كان يدرس مسائل الفقه والأصول. فلما بلغ سن الثامنة عشر فرغ من جميع العلوم المنطقية والرياضية والطبيعية، فمال إلى علم ما بعد الطبيعة، فاشتغل بمطالعة ما كتب في ذلك العلم. صنف نحو مائة كتاب بين مطول ومختصر، ونظم الشعر الفلسفي الجيد، ودرس اللغة مدة طويلة حتى بارى كبار اللغويين. أشهر كتبه (القانون) في الطب، يسميه علماء الفرنج (C) عليه السلام (nonmedicin عليه السلام) بقى معولاً- عليه في علم الطب ستة قرون، ترجمه الفرنج إلى لغاتهم وكانوا يتدارسونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في روما، ويسمون ابن سينا: (عليه السلام vicenn عليه السلام) وله عندهم مكانة رفيعة. ومن تصانيفه: (المعاد) رسالة في الحكمة، و(الشفاء) في الحكمة، و(السياسة)، و(أسرار الحكمة المشرقية)، وأرجوزة في (المنطق)، ورسالة (حي بن يقظان)، و(أسباب حدوث الحروف)، و(الإشارات) و(الطير)، و(أسرار الصلاة). قيل: كان الطب معدوماً فأوجده بقراط، وكان ميتاً فأحياه جالينوس، وكان متفرقاً فجمعه الرازي، وكان ناقصاً فأكمله ابن سينا.

() تاريخ الحكماء: ص ٤١٥-٤١٦.

() منية المرید، للشهيد الثاني: ص ٣٤٢ الهامش رقم ٤.

() راجع الغدير، للعلامة الشيخ الأميني: ج ٣ ص ٣٠ الشاعر ابن الرومي.

() طرائف المقال للسيد علي البروجردی: ج ٢ ص ٤٩٣-٤٩٤ ترجمة الشيخ ابن سينا.

() سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ١٧ ص ٥٣١-٥٣٣ ابن سينا.

() الكنى والألقاب للمحدث الشيخ عباس القمي: ج ١ ص ٣٢٠-٣٢١

ابن سينا.

() أي مرة، مقر الشيء بالكسر، أي صار مرأً. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٠٧ عثمان بن حنيف.

() فدك: منطقة زراعية خصبة ذات حوائط عامرة سبعة، تبعد من خيبر بنحو

خمسين كيلومتراً، وعن المدينة المنورة بما يقرب من (١٤٠) كيلومتراً وكان يسكنها اليهود. فعندما فرغ رسول الله صلى الله عليه و اله من خيبر عقد لواءً ثم التفت صلى الله عليه و اله إلى علي عليه السلام وقال: يا علي، قم إليه فخذ. فقام علي عليه السلام إلى اللواء فأخذه، فبعثه رسول الله صلى الله عليه و اله به إلى فدك. وكان أهل فدك قد سمعوا بما دمر الله على أهل خيبر وبمسير علي عليه السلام فاتح خيبر إليهم، فامتألت قلوبهم من ذلك خوفاً ورعباً، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه و اله قبل وصول علي عليه السلام إليهم يصلحونه على فدك، ويسألونه أن يسترحم بأثواب، ويحقن دماءهم، ويتركوا له أرضهم وأموالهم، وكان الذي مشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه و اله في ذلك محيصة بن مسعود أحد بني حارثة، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه و اله على أن يحقن دماءهم. فكانت حوائط فدك ملكاً لرسول الله صلى الله عليه و اله خاصة خالصة، لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، فنزل جبرئيل عليه وقال: يا رسول الله، إن الله عزوجل يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه. فقال صلى الله عليه و اله: يا جبرئيل، ومن قرباى وما حقه. فقال جبرئيل: فاطمة عليها السلام فاعطها حوائط فدك وما لله ولرسول الله فيها. فدعا رسول الله صلى الله عليه و اله فاطمة عليها السلام وأعطى بأمر من الله تعالى فدكاً إليها عليها السلام نحلة لها وبلغه لابنيها، وملكاً خاصاً لها، وبقيت في ملكها ويدها عليها السلام في حياة الرسول صلى الله عليه و اله حتى انتزعها منها أبو بكر. انظر بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٢ ب ٢٢ ضمن ح ١٧.

ولما ورد أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام على المهدي العباسي رآه يرد المظالم فقال: ما بال مظلمتنا لا ترد. فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إن الله تبارك و تعالی لما فتح على نبيه صلى الله عليه و اله فدكاً وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه و اله: وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ؟ سورة الإسراء: ٢٦ فلم يدر رسول الله صلى الله عليه و اله من

هم، فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل عليه السلام ربه فأوحى الله إليه: أن ادفع فداً إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه و اله فقال لها: يا فاطمة، إن الله أمرني أن أدفع إليك فداً. فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه و اله، فلما ولي أبو بكرٍ أخرج عنها وكلاءها، فأتته فسألته أن يردها عليها فقال لها: اتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك. فجاءت بأمر المؤمنين عليه السلام وأم أيمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض فخرجت والكتاب معها، فلقبها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمدٍ؟ قالت: كتابٌ كتبه لي ابن أبي قحافة. قال: أرنيه؟ فأبت فانتزعه من يدها، ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبو بكرٍ بخيلٍ ولا ركابٍ، فضعى الحبال في رقابنا. فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدها لي؟ فقال:؟ حد منها جبلٍ أحدٍ، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل. فقال له: كل هذا؟! قال:؟ نعم يا أمير هذا كله، إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله صلى الله عليه و اله بخيلٍ ولا ركابٍ. فقال: كثيرٌ وأنظر فيه. الكافي: ج ١ ص ٥٣٤ باب الفياء والأنفال وتفسير الخمس ح ٥.

(السائمة: الأنعام التي تسرح.

(سورة المجادلة: ٢٢.

(نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة.

(هو الشيخ عباس محمد رضا القمي، ولد في مدينة قم المقدسة عام ١٢٩٤هـ، عالم عامل، ثقة عدل متتبع، بحاثه عصره، أمين مهذب، زاهد عابد، صاحب المؤلفات المفيدة، تتلمذ على العلامة الشيخ حسين النوري صاحب (مستدرک الوسائل)، من مؤلفاته: (هداية الأجاب)، و(الفوائد الرضوية) و(الكنى والألقاب) و(مفاتيح الجنان) في الأدعية والزيارات، توفي في النجف الأشرف عام ١٣٥٩هـ.

(الصحيفة السجادية: دعاء رقم ٢٠ وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال.

(سورة آل عمران: ١٥٣.

(سورة الحديد: ٢٣.

(سورة الأنبياء: ٧٣.

(سورة الأنعام: ١٣٥.

(سورة التوبة: ١٠٥.

(سورة المؤمنون: ٥١.

(سورة سبأ: ١٣.

(سورة النساء: ١٢٤.

(سورة طه: ١١٢.

(سورة الأنبياء: ٩٤.

(سورة الحجر: ٤٣ ٤٤.

(سورة القصص: ٦٠.

(بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٨٧-٨٨ ب ٤ ح ٩.

(نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.

(معاني الأخبار: ص ٢٥٢ باب معنى الزهد ح ٥.

(وسائل الشيعة: ج ١٧ ص ٤٠ ب ٩ ح ٢١٩٢٦.

(مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٥١ ب ٦٢ ح ١٤.

- () إرشاد القلوب: ج ١ ص ١٥٨ ب ٤٨ في فضيلة الفقر وحسن عاقبته.
- () الجئة بالضم: الوقاية.
- () نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤.
- () الكافي: ج ٢ ص ١٢٨ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح ٢.
- () مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٧٠ ب ٤٧ ح ١٣٥٣٩.
- () كنز الفوائد: ج ١ ص ٣٥٠ فصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام.
- () بحار الأنوار: ج ٤٩ ص ١٩٩ ب ١٠٥ ضمن ح ٢٧.
- () الكافي: ج ٢ ص ٣٢٠ باب الطمع ح ٢.
- () غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وآثاره ح ٢٨٩٣.
- () غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وآثاره ح ٢٨٩٥.
- () غرر الحكم ودرر الكلم: ص ١٥٥ ق ١ ب ٦ ف ٤ الإخلاص في العمل وآثاره ح ٢٩٠١.
- () نفس المصدر: ح ٢٩١٨.
- () نفس المصدر: ح ٢٩٢١.
- () نفس المصدر: ح ٢٩٠٣.